فصل تمهيدي
تعريف موجز بصاحب السيرة الميمونة

المبحث الأول
من هو محمد ﷺ ؟

المطلب الأول : الميلاد والنشأة :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي والذي يمتد نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ .

وللنبي عدة أسماء، أشار إلى بعضها في أحد الأحاديث، فقال " لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي (أي يُحشر الناس إثر بعثه)، وأنا العاقب"[1] والعاقب الذي ليس بعده نبي.

يقول المؤرخ الأمريكي رالف لنتون : "ولد محمد[ﷺ] في مكة [٢٠ أبريل ٥٧١م] من عائلة ذات مركز حسن، ولكنَّ أباه مات قبل ولادته، كما ماتت أمه عندما كان في السادسة من عمره.. وفي السنوات الأولى من سن المراهقة كان يعمل راعياً.. وعندما بلغ السابعة عشرة[2] من عمره ذهب إلى سوريا مع عمٍّ له[3] – بقصد التجارة –، وعندما أصبح في الرابعة والعشرين كان ينوب عن أرملة غنية – هي السيدة خديجة – في السفر بقافلتها التجارية، وبعد عام آخر– أي في عام ٥٩٥م – تزوج تلك الأرملة التي كانت في الأربعين من عمرها، وكانت قد تزوجت قبل ذلك مرتين، ولها من زوجيها السابقين ولدان وبنت. وولدت له هذه الأرملة ولدين ماتا عندما كانا طفلين[4]، وأربع بنات. وفي السنوات الواقعة بين عامي ٥٩٥–٦١٠ م كان محمد تاجراً محترماً في مكة، وكان يلقب بالأمين نظراً

---

١ صحيح البخاري : كتاب المناقب – باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ،(٤٥١٧)

٢ الصحيح في سن ١٢ سنة (ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٧)

٣ هو أبو طالب

٤ هما القاسم وعبد الله ، وقد ماتا في سن الطفولة قبل بعثة النبي ﷺ

obeikandl.com

لما اتصف به من صدق وحكمة في أحكامه"١ .

المطلب الثاني : أخلاق محمد ﷺ وصفاته :

أولاً : أخلاقه :

عاش النبي ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب - في بيت جده عبد المطلب زعيم مكة، ومن ثم نال حظاً وافراً من الفطنة والفكر السديد، ومعايشة قضايا العالم ومشكلاته ونزاعاته .. فطالع النبي ﷺ صحائف البشرية وأحوال القبائل والجماعات والأحلاف، وقد كان النبي ﷺ في ذروة الإيجابية مع قضايا أمته ، فهو عضو في " حلف الفضول " للدفاع عن المظلومين، ورفض كل صور الظلم، وأكل الحقوق بالباطل .. كما إنه حكم عدل في فض النزاعات والمشكلات التي تحدث بين القبائل والعائلات .. كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلقًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وألينهم عَرِيكة، وأعفهم نفسًا، وأوفاهم عهدًا.. إنه ـ ببساطة شديدة ـ كما وصفته٢ زوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ ، يصل الرحم، ويحمل الكل، ويُكسب المعدوم، ويُقري الضيف، ويُعين على نوائب الدهر .

١- الامتياز في الأخلاق :

يقول المستشرق آرثر جيلمان : "لقد اتفق المؤرخون على أن محمداً [ﷺ]كان ممتازاً بين قومه بأخلاق جميلة؛ من صدق الحديث، والأمانة، والكرم، وحسن الشمائل، والتواضع.. وكان لا يشرب الأشربة المسكرة، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً"٣ .

٢- لم تشبه شائبة :

و يقول كارل بروكلمان:

"لم تشبْ محمداً [ﷺ]شائبة من قريب أو بعيد؛ فعندما كان صبياً وشاباً عاش فوق مستوى الشبهات التي كان يعيشها أقرانه من بني جنسه وقومه"٤

٣- المفكر الخلوق :

---

١ رالف لنتون : شجرة الحضارة، ١/ ٣٤٠

٢ انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي (٣)

٣ آرثر جيلمان : الشرق، ١١٧.

٤ انظر: محمد عثمان عثمان : محمد في الآداب العالمية المنصفة ١١٠.

ويتحدث توماس كارلايل١ عن نبينا محمد ﷺ قائلاً:

"لوحظ على محمد [ﷺ]منذ [صباه] أنه كان شابًا مفكرًا وقد سمّاه رفقاؤه الأمين – رجل الصدق والوفاء – الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره. وقد لاحظوا أنه ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة . . وإني لأعرف عنه[ﷺ] أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من لبّ ! وقد رأيناه[ﷺ] طول حياته رجلاً راسخ المبدأ، صارم العزم، بعيد الهم، كريمًا برًّا رؤوفًا تقيًا فاضلاً حرًا، رجلاً شديد الجدّ مخلصًا، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة، جمّ البِشر والطلاقة حميد العشرة حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق.. وكان ذكي اللب، شهم الفؤاد.. عظيمًا بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك.. فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء"٢.

٤- أعظم الناس مروءة

ويتحدث الباحث البلجيكي ألفرد الفانز: عن أخلاق محمد ﷺ فيقول:

"شب محمد [ﷺ] حتى بلغ ، فكان أعظم الناس مروءة وحلماً وأمانة ، وأحسنهم جواباً، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم عن الفحش حتى عرف في قومه بالأمين ، وبلغت أمانته وأخلاقه المرضية خديجة بنت خويلد القرشية ، وكانت ذات مال ، فعرضت عليه خروجه إلى الشام في تجارة لها مع غلامها ميسرة ، فخرج وربح كثيراً ، وعاد إلى مكة وأخبرها ميسرة بكراماته ، فعرضت نفسها عليه وهي أيم ، ولها أربعون سنة ، فأصدقها عشرين بكرة، وتزوجها وله خمسة وعشرون سنة، ثم بقيت معه حتى ماتت. "٣ .

٥- احترام الناس له :

ويتحدث الباحث الروسي آرلونوف، عن نبي الرحمة، ويقول :

"اشتهر [ﷺ] بدماثة الأخلاق، ولين العريكة، والتواضع وحسن المعاملة مع الناس، قضى محمد [ﷺ] أربعين سنة مع الناس بسلام وطمأنينة، وكان جميع أقاربه يحبونه حباً جماً، وأهل مدينته يحترمونه احتراماً عظيماً، لما عليه من المبادئ القويمة، والأخلاق

---

١ توماس كارلايل(١٧٩٥ – ١٨٨١ م) الكاتب الإنجليزي الشهير، من أعماله (الثورة الفرنسية) و(الأبطال) (١٩٤٠)، وقد عقد فيه فصلاً كاملاً رائعًا عن النبي ﷺ..الخ.

٢ توماس كارلايل : الأبطال ٥٠، ٥١.

٣ انظر: محمد شريف الشيباني: الرسول في الدراسات الإستشراقية المنصفة ١٧.

الكريمة، وشرف النفس، والنزاهة ."١.

٦- أقوال من عاصروه :

هذه بعض أقوال علماء الغرب المنصفين في حديثهم عن أخلاق محمد ..

فماذا كانت أقوال من عاصروا النبي وكانوا معه كظله ؟ :

يقول علي بن أبي طالب:

"كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ، ولا يفرقهم ، يكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس عنهم ، من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا ، أو يملوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة : أحسنهم مواساة ومؤازرة ." ٢ .

"كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق، لين الجانب ، ليس بفظ٣ ، ولا غليظ ولا صخاب٤ في الأسواق ، ولا فاحش ولا عياب ، ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ، ويؤيس منه ، ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء٥، والإكثار ، ومالا يعنيه وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ، ولا يعيره ، ولا يطلب عوراته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق٦ جلساؤه ، كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث من تكلم أنصتوا له ، حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون ، ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه"٧ .

"كان سكوت رسول الله ﷺ على أربع : على الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير ، فأما تقديره ففي تسوية النظر ، والاستماع من الناس ، وأما تفكيره ففيما يبقى ، ولا يفنى

---

١ آرلونوف : مقالة "النبي محمد "، مجلة الثقافة الروسية ، ج ٧ ، عدد ٩

٢ أبو الشيخ الأصبهاني : أخلاق النبي، ١٦

٣ الفَظ : سَيِّء الخُلُق

٤ الصخَّب : الضَّجَّة، واضطرابُ الأصواتِ للخِصَام

٥ المراء : المجادلة العقيمة

٦ أطرق : أمال رأسه إلى صدره منصتًا

٧ أبو الشيخ الأصبهاني : أخلاق النبي ١٦

وجمع له الحلم في الصبر ، فكان لا يغضبه شيء ، ولا يستفزه وجمع له الحذر في أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته ، والقيام فيما هو خير لهم ، جمع لهم خير الدنيا والآخرة"١.

كان " دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه راجيه ولا يخيب فيه"٢..

ثانيًا : صفاته :

١- كلام أنس في وصف النبي ﷺ

قال أنس بن مالك – خادم النبي – :

"كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل الْبَائِنِ وَلا بِالْقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ، وَلَيْسَ بِالْآدَمِ، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ٣، وَلَا بِالسَّبْطِ٤، بَعَثَهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ"٥

" كان النبي ﷺ ضَخْمَ الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، لَمْ أَرَ بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَكَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ"٦

"كَانَ يَضْرِبُ شَعَرُ النبي ﷺ مَنْكِبَيْهِ"٧.

٢- كلام ابن عباس في وصف النبي ﷺ

" كان النبي ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَسَدَلَ النبي ﷺ نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَقَ

---

١ أبو الشيخ الأصبهاني : أخلاق النبي ١٦

٢ الترمذي : مختصر الشمائل المحمدية ٢٤

٣ القطط: الشعر فيه التواء وانقباض

٤ السبط: الشعر المسترسل.

٥ صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد (٥٤٤٩)

٦ صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد (٥٤٥٦)

٧ صحيح البخاري ، كتاب اللباس، باب الجعد (٥٤٥٣)

obeikandl.com

بَعْدُ"١ .

٣- كلام البراء في وصف النبي ﷺ

" كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعًا٢ ، بعيد ما بين المنكبين٣ عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء ، ما رأيت شيئا قط أحسن منه"٤ .

٤- كلام جابر بن سمرة في وصف النبي ﷺ

" رأيت رسول الله ﷺفي ليلة إضحيان [أي مضيئة مقمرة] وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو عندي أحسن من القمر "٥ .

" كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العين منهوس العقب " . قال شعبة : قلت لسماك : ما (ضليع الفم) ؟ قال : عظيم الفم . قلت : ما (أشكل العين) ؟ قال : طويل شق العين . قلت : ما (منهوس العقب) ؟ قال : قليل لحم العقب٦ .

٥- كلام علي بن أبي طالب في وصف النبي ﷺ

" لم يكن النبي ﷺبالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس٧، طويل المسربة٨، إذا مشى تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب٩، لم أر قبله ولا بعده مثله – ﷺ – "١٠ .

٦- كلام أبي الطفيل في وصف النبي ﷺ

"رأيت النبي ﷺ وما بقي على وجه الأرض أحد رآه غيري "

قيل له : صفه لي . قال : " كان أبيض مليحًا مقصدًا "١١ .

---

١ صحيح البخاري ، كتاب اللباس، باب الفرق (٥٤٦٢)

٢ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير

٣ المنكب : مُجْتَمَع رأس الكتف والعضد

٤ صحيح – سنن الترمذي في الشمائل (٣) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ١٤

٥ صحيح – سنن الترمذي في الشمائل (٨) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ٢٦

٦ صحيح – رواه الترمذي في الشمائل (٧) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ٢٦

٧ رؤوس العظام.

٨ المَسرَبة: الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.

٩ الصبب: انخفاض من الأرض.

١٠ صحيح – رواه الترمذي في الشمائل (٤) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ١٥

١١ صحيح – رواه الترمذي في الشمائل (١٢) ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ٢٧

obeikandl.com

٧- كلام أبي هريرة في وصف النبي ﷺ

"كان أحسن الناس (صفة و أجملها كان) ربعة١ إلى الطول ما هو، بعيد ما بين المنكبين، أسيل الخدين، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، أهدب الأشفار، إذا وطئ٢ بقدمه وطئ بكلها، ليس له أخمص إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة (و إذا ضحك يتلألأ)٣ .

٨- كلام أُمّ مَعْبَدٍ في وصف النبي ﷺ

قالت أُمَّ مَعْبَدٍ تصف رسول الله لزوجها، لما مر بها في رحلة الهجرة :

"رَأَيْتُ رَجُلا ظَاهَرَ الْوَضَاءَةِ .. أَبْلَجَ الْوَجْهِ٤ .. حَسَنَ الْخَلْقِ ..لَمْ تَعِبْهُ ثُحْلَةٌ..وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ ، وَسِيمٌ ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ٥ ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ٦ ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ٧ ،وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ٨ ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ٩ ، أَزَجُّ١٠ أَقْرَنُ ..

إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلاهُ الْبَهَاءُ ..

أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ ،وأَحْلاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ ..

حُلْوُ الْمَنْطَقِ ، فَصْلٌ لا هَذِرٌ وَلا تَزِرٌ ١١، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ١٢ نَظْمٌ يَتَحَدَّرْنَ ..

رَبْعٌ لا يَأْسَ مِنْ طُولٍ ، وَلا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ ..

غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا ، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ ،

---

١ الربعة : ليس بالطويل ولا بالقصير

٢ وطئ : وضع قدمه على الأرض أو على الشيء وداس عليه ، ونزل بالمكان

٣ حسن- رواه البيهقي (٢٣٤): وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٨٧٦٢)، وما بين القوسين فهو ضعيف عنده .

٤ أبلج الوجه : مشرق الوجه مضيئه

٥ شدة سواد العينين مع سعتهما، دلالة علي شدة جمل العينين

٦ في شعر أجفانه طول

٧ فيه بحة، كانت تجمل الصوت .

٨ طول

٩ الكث : الغزير والكثيف

١٠ الحاجب الرقيق

١١ الفصل : البَيِّن الظاهر ، الذي يَفْصِل بين الحقّ والباطل

١٢ الخرز : حبات تنظم في عقد تضعه المرأة في رقبتها لتتزين به، دلالة على تنسيق الكلام، وترتيبه، جمال العرض.

إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ ..
مَحْفُودٌ١ مَحْشُودٌ٢ لا عَابِسٌ وَلا مُفَنَّدٌ٣ "٤ .

المطلب الثالث : حال العالم عشية البعثة :

"بينما كان العالم الشرقي والعالم الغربي بفلسفاتهما العقيمة يعيش في دياجير ظلام الفكر وفساد العبادة، بزغ من مكة المكرمة في شخص محمد رسول الله [ﷺ] نور وضاء؛ أضاء على العالم فهداه إلى الإسلام" ٥ .

فقد وُلد النبي [ﷺ] والبشرية تُعاني صنوف الجهل والتخلف والانحطاط الخلقي والحضاري.. العرب في الجزيرة العربية كانوا يعبدون الأصنام ويقتلون البنات ويتكسبون من وراء الزنى والدعارة .. أما الشعب الفارسي فقد أدمن عبادة النار كما أدمن عبادة الطاغية كسرى، الذي كرث الطبقية والكراهية بين صفوف الشعب الفارسي .. وهذا هرقل أجج الخلاف الطائفي بين الرومان فأخذ يذّبح من يخالفه في المذهب، فضلاً عن فساد السلطة الرومانية الحاكمة مالياً وإدارياً وسياسياً .. حتى وصل بهم الحد أن فرضوا ضريبة على الشعوب تسمى " ضريبة الرأس" .. وهي ضريبة يدفعها المواطن نظير ترك رأسه دون ذبح !

ومن ثم " فإننا نجد استعدادات عامة للانتحار الاجتماعي العام . لم يكن النوع البشري في ذلك الزمان راضيًا بالانتحار فحسب، بل كان يتساقط عليه، ويتهالك فيه !!"٦

وهكذا كان العالم يموج بالظلم والتخلف .. إلى أن أرسل الله ـ تبارك ـ هذا الصادق الأمين ﷺ.

---

١ المحفود : الذي يخدمه أصحابه
٢ المحشود : الذي يجتمع إليه الناس
٣ لا مفند : يعني لا عابس ولا مكذب
٤ صحيح – رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٢٤)،والحاكم في المستدرك (٤٢٤٣)،والبيهقي في دلائل النبوة، وابن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني(٣٠٨٣)، وقال الذهبي – في التلخيص – : صحيح
٥ إبراهيم خليل أحمد(القس إبراهيم فيلوبوس سابقًا): محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ٤٧
٦ أبو الحسن علي الحسني الندوي : السيرة النبوية، ٤٦٧

ويبين هنري ماسيه ١ :

أن "بفضل إصلاحات محمد [ﷺ] الدينية والسياسية، وهي إصلاحات موحدة بشكل أساسي، فإن العرب وعوا أنفسهم وخرجوا من ظلمات الجهل والفوضى، ليعدّوا دخلوهم النهائي إلى تاريخ المدنية"٢..

المطلب الرابع :النبوة والوحي :

أولاً : شهادة الكتب السماوية السابقة

لقد أخبرت التوراة والإنجيل عن بعثة محمد ﷺ بشكل صريح تارة وبشكل فيه تلميح تارة أخرى :

ففي بشارة سفر العدد: ورد في قصة بلعام بن باعوراء أنه قال: "انظروا كوكباً قد ظهر من آل إسماعيل، وعضده سبط من العرب، ولظهوره تزلزلت الأرض ومن عليها". . قال المهتدي الإسكندراني معلقاً: "ولم يظهر من نسل إسماعيل إلا محمد ﷺ، وما تزلزلت الأرض إلا لظهوره ﷺ. حقًا إنه كوكب آل إسماعيل، وهو الذي تغير الكون لمبعثه ﷺ؛فقد حرست السماء من استراق السمع، وانطفأت نيران فارس، وسقطت أصنام بابل، ودكت عروش الظلم على أيدي أتباعه."٣.

وقد حُرف هذا النص في الطبعات المحدثة إلى: "يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم موآب، ويهلك من الوغى"٤.

وفي سفر التثنية لما هُزمت جيوش بني إسرائيل أمام العمالقة، توسل موسى إلى الله سبحانه وتعالى مستشفعاً بمحمد ﷺقائلاً: "اذكر عهد إبراهيم الذي وعدته به من نسل إسماعيل أن تنصر جيوش المؤمنين، فأجاب الله دعاءه ونصر بني إسرائيل على العمالقة ببركات محمد ﷺ" وقد استبدل هذا النص بالعبارات التالية: "اذكر عبيدك إبراهيم

---

١ هنري ماسيه : ولد عام ١٨٨٦، عمل مديرًا للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذًا في جامعة الجزائر (١٩١٦-١٩٢٧)، وعضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتدبته الحكومة لعديد من المهام الثقافية واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.من آثاره:كتاب (الإسلام) (١٩٥٧)، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة .

٢ هنري ماسيه : الإسلام ، ص ٥٥.

٣ انظر: محمد بن عبد الله السحيم: أعظم إنسان في الكتب السماوية. ، فصل : بشارات العهد القديم بمحمد ﷺ، ص٢١، وما بعدها.

٤ انظر: المصدر السابق

وإسحاق ويعقوب، ولا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته" ولا يمكن أن يكون هذا الدعاء – الذي في النص الأول – قد صدر من موسى عليه السلام، لأنه ينافي كمال التوحيد١.

وقال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله : إن المسيح ـ عليه السلام ـ قال: "إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء" وقال – أيضا – في الفصل السادس عشر: "إن الفارقليط لن يجيئكم مالم أذهب، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، لكنه يسوسكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب"٢

ويقول عيسى ـ عليه السلام ـ في إنجيل برنابا : "لأن الله سيصعِّدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إيّاي. ومع ذلك فإنه حين يموت شر ميتة أمكث أنا في ذلك العار زمنًا طويلاً في العالم ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة"٣ .

هذا، وقد شهد بنبوة محمد ﷺ رجالات اليهودية، كأمثال الحبر عبد الله بن سلام، ورجلات النصرانية كورقة بن نوفل ..

ليكونا حجة على كل يهودي أو نصراني إلى قيام الساعة !

ثانيًا : شهادات علماء الغرب :

كما شهد بنبوة محمد ﷺ كبار المفكرين والباحثين الغربيين في العصر الحديث ، ونذكر من هذه الشهادات :

١- شهادة واشنجتون إيرفنج

يقول الكاتب الأمريكي واشنجتون إيرفنج (١٧٨٣-١٨٥٩ م):

"كان محمد [ﷺ] خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ؛ ليدعوا الناس إلى عبادة الله"٤..

---

١ انظر: المصدر السابق

٢ انظر: المصدر السابق

٣ إنجيل برنابا ، ٨٠: ١١٢

٤ واشنجتون إيرفنج ، ص ٧٢ .

٢- شهادة مارسيل بوازار

ويثبت "مارسيل بوازار" نبوة محمد ﷺ بإسلوب عقلاني وعلمي بكلمات بليغة فيقول :

"منذ استقر النبي محمد [ﷺ] في المدينة، غدت حياته جزءًا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي. فقد نُقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها.. ولما كان مُنظمًا شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة.. وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين. ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسّدت المناخ الروحي للإسلام.." [١].

ويضيف قائلاً :

" وكما يظهر التاريخ محمدًا [ﷺ] قائدًا عظيمًا ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحًا قوي الشكيمة له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه. ولقد استطاع بدبلوماسيته ونزاهته أن ينتزع الاعتراف بالجماعة الإسلامية عن طريق المعاهدات في الوقت الذي كان النصر العسكري قد بدأ يحالفه. وإذا تذكرنا أخيرًا على الصعيد النفساني هشاشة السلطان الذي كان يتمتع به زعيم من زعماء العرب، والفضائل التي كان أفراد المجتمع يطالبونه بالتحلي بها، استطعنا أن نستخلص أنه لابدّ أن يكون محمد [ﷺ] الذي عرف كيف ينتزع رضا أوسع الجماهير به إنسانًا فوق مستوى البشر حقًا، وأنه لابد أن يكون نبيًا حقيقيًا من أنبياء الله ! ! "[٢] .

٣-شهادة إميل درمنغم :

أما إميل درمنغم[٣] فيدلل على نبوة محمد ﷺ، من خلال حادث وفاة ابراهيم ابن رسول الله، فيقول :

".. ولد لمحمد [ﷺ]،[من مارية القبطية] ابنه إبراهيم فمات طفلاً، فحزن عليه [ﷺ]كثيرًا ولحّده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس، فقال المسلمون: إنها

---

١ مارسيل بوازار ، ص ٤٦

٢ مارسيل بوازار ٤٦

٣ إميل درمنغم مستشرق فرنسي ، من آثاره : (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبي ﷺ، و (محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥).

obeikandl.com

انكسفت لموته، ولكن محمدًا [ﷺ]كان من سموّ النفس ما رأى به ردّ ذلك فقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد..". فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال.."١.

٤- شهادة لايتنر :

يقول لايتنر٢ :

" بقدر ما أعرف من دينيْ اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد[ﷺ]ليس اقتباسًا بل قد أوحي إليه به ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية الصالح الذاتي، وأمانة المقصد، وإيمان القلب الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائط لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد [ﷺ] وأنه قد أوحي إليه"٣ .

٥- شهادة لورافيشيا فاغليري :

أما الكاتبة الإيطالية لورافيشيا فاغليري٤ فتقول :

"حاول أقوى أعداء الإسلام، وقد أعماهم الحقد، أن يرموا نبي الله [ﷺ] ببعض التهم المفتراة. لقد نسوا أن محمدًا [ﷺ] كان قبل أن يستهل رسالته، موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته. ومن العجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل؛ كيف جاز أن يقوى محمد [ﷺ] على تهديد الكاذبين والمرائين، في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية، لو كان هو قبل ذلك رجلاً كاذبًا ؟ كيف جرؤ على التبشير، على الرغم من إهانات مواطنيه، إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثه- وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة -حثًا موصولاً ؟ كيف استطاع أن يستهل صراعًا كان يبدو يائسًا ؟ كيف وفق إلى أن يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات، في

---

١ إميل درمنغم :حياة محمد ، ص٣١٨

٢ لايتنر : باحث إنكليزي، حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، وزار الأستانة عام ١٨٥٤، كما طوف بعدد من البلاد الإسلامية والتقى برجالاتها وعلمائها

٣ لايتنر : دين الإسلام ، ص ٤ ، ٥ .

٤ لورا فيشيا فاغليري : باحثة إيطالية في التاريخ الإسلامي واللغة العربية.من آثارها: (قواعد العربية) (١٩٣٧)، و(الإسلام) (١٩٤٦)، و(دفاع عن الإسلام) (١٩٥٢٩).

مكة، في نجاح قليل جدًا ، وفي أحزان لا تحصى، إذا لم يكن مؤمنًا إيمانًا عميقًا بصدق رسالته ؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء، وأن يؤازروه، ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء، والعتقاء، والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق ؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد[ﷺ]كان عميقًا وأكيدًا"١..

٦- شهادة روم لاندو :

ويكشف المفكر البريطاني روم لاندو زيف المكذبين لنبوة محمد ﷺ بقوله :

"كانت مهمة محمد [ﷺ] هائلة ! كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية، وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين محمد العربي[ﷺ] ... إن الإخلاص الذي تكَّشف عنه محمد[ﷺ]في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل في ما أُنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد [ﷺ] بأيّ ضرب من الخداع المتعمد. ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق (ديني) متعمد استطاع أن يعمر طويلاً. والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب، في كل عام أتباعًا جددًا. وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحدًا على محتال كان لرسالته الفضل في خلق إمبراطورية من إمبراطوريات العالم وحضارة من أكثر الحضارات نبلاً !"٢.

المطلب الخامس : لمحة مختصرة عن سيرة النبي ﷺ :

أولاً : أول ما نزل عليه ﷺ :

كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من أمر النبوة الرؤيا الصادقة واستمر ذلك ستة أشهر، ثم أكرمه الله تعالى بالنبوة، فجاءه الملك جبريل – عله السلام - وهو في خلوته بغار حراء، وقرأ عليه النصف الأول من سور العلق : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥) ﴾.

---

١ لورافيشيا فاغليري ٣٧، ٣٨.

٢ انظر: أرنولد توينبي ٣٣، ٣٤.

يقول المفكر البلجيكي جورج سارتون: و" صدع محمد [ﷺ] بالدعوة نحو عام ٦١٠م وعمره يوم ذاك أربعون سنة... مثل إخوانه الأنبياء السابقين [عليهم السلام].."١.

ثانيًا: إسلام العالم والكاتب النصراني ورقة بن نوفل :

فبعدما استمع للنصف الأول من سورة اقرأ من فم رسول الله ﷺ :

قال ورقة فوراً : "هذا الناموس الذي نزل الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك" ، فقال النبي ﷺ: "أومخرجي هم؟". قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا٢، وأسلم ورقة، ليسجِّل التاريخ أن أول رجل يصدِّقُ محمداً ويعتنق دينه هو عالمٌ نصراني.

ثالثًا :أول من أسلم :

أمر الله رسوله ﷺ بتبليغ الدعوة سراً لمدة ثلاث سنين، فدعا قومه إلى الإسلام، فحاز قصب السبق صديقه ووزيره أبو بكر، وزوجته خديجة، وابن عمه علي بن أبي طالب، وخادمه زيد من حارثه.

وهؤلاء نواة الإسلام، ومنهم انبثق الدين الإسلامي، وانتشر في الناس، وعم نوره في البقاع.

يقول رالف لنتون : و" اجتذب الوحي الذي نزل على محمد [ﷺ] عدداً من الأتباع، وبدأ ينتشر بين الناس.."٣ .

رابعًا : إيذاء المسلمين :

لما دخل النّاسُ في دين الله واحداً بعد واحدٍ، وكثر أتباع محمد ﷺ فحينئذ ناصبه الوثنيون العداوة، فحمى الله رسوله ﷺبعمه أبي طالب، لأنه كان شريفًا معظماً في قومه.. وأما أصحابه فمن كان له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته، وسائرهم صَبَّ عليهم المشركون العذاب صبًّا، وفتنوهم عن دينهم فتوناً، منهم بلال بن رباح العبد الأثيوبي وعمار بن ياسر، وأمه سمية وأهل بيته الذين عُذِّبوا في الله عذاباً شديداً، حتى قضى ياسر نحبه، ومرَّ

---

١ جورج سارتون ٢٩، ٣٠،٣١

٢ صحيح – رواه البخاري، بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله- ﷺ، برقم ٣

٣ رالف لنتون : شجرة الحضارة، ١/ ٣٤١.

obeikandl.com

أبو جهل بسمية – أم عمار – وهي تُعذب، فطعنها بحربة في فرجها فقتلها.

كما قام صناديد قريش بتعذيب العديد من النساء اللائي أسلمن١، وضربن أروع الأمثلة في الثبات والصبر والاعتزاز بدعوة الإسلام، وكانت من بينهن زِنِّيرَةُ – أمَة رومية قد أسلمت فعُذبت في الله ، وأُصيبت في بصرها حتى عميت- ، وأسلمت جارية عمر بن مؤمل من بني عدى، فكان عمر بن الخطاب يعذبها ـ وهو يومئذ على الشرك ـ فكان يضربها حتى يفتر ، وممن أسلمن وعُذبن أيضاً : أم عُبَيْس والنهدية وابنتها .

خامسًا : الهجرة إلى الحبشة وإسلام ملك نصارى الحبشة :

ويتحدث العلامة آتيين دينيه٢ ، عن مأساة المسلمين في هذه الفترة، قائلاً:

" وامتلأت نفس محمد [ﷺ] حزناً ، أمام هذه المآسي التي كان يتحملها ضعاف المسلمين الذين لا يجدون من يحميهم . حقاً إن شجاعة المعذبين والشهداء في سبيل الله برهنت على إسلامهم العميق ، ولكنه رأى أن من الخير ألا يستمر هذا البلاء ، فنصح الضعفاء ومن لم تدعهم الضرورة إلى البقاء في مكة بالهجرة إلى الحبشة حيث المسيحيون ، وحيث التسامح والعدل اللذان اشتهر بهما ملكها النجاشي"٣ .

وهو ملك نصراني صالح، لا يُظلم عنده أحد. فأقام المهاجرون عند النجاشي على أحسن حال، فبلغ ذلك قريشاً فأرسلوا وفداً، ليكيدوهم عند النجاشي،وليخرجهم النجاشي خارج أرضه إلى المشركين فرجعوا خائبين. وأسلم النجاشي على يد رئيس الوفد الإسلامي الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب، بعدما قرأ على النجاشي آيات بينات من سورة مريم. وظلَّ المهاجرون عند النجاشي ينشر عليهم ظله وحمايته حتى رجعوا إلى المدينة المنورة سنة سبع للهجرة.

سادسًا : الحصار وعام الحزن :

اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ، فحصروه وأهل بيته في شِعب (وهو مكان بين جبلين في مكة يشبه السجن المفتوح) عُرف بشعب أبي طالب، وسُجن النبي ﷺ مدة ثلاث سنين، حتى بلغهم الجوع و الجهد وسُمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء

---

١ انظر: صفي الرحمن المباركفوري ص ٧١

٢ باحث فرنسي ، أشهر إسلامه عام ١٩٢٧م وتسمى بناصر الدين، وكان شديد الهجوم على المستشرقين المعادين للإسلام، ومن آثاره : "الشرق كما يراه الغرب"، و" أشعة خاصة بنور الاسلام"، و " محمد رسول الله ".

٣ آتيين دينيه ١٤٥

الشِعب، و بدأ حبس محمد ﷺ وأصحابه في هلال المحرم سنة سبع من البعثة وخرج من الحصار وله تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بأشهر مات عمه أبو طالب، ثم ماتت خديجة بعد ذلك بيسير، فاشتد أذى الكفار له، وتطاولوا عليه.

وفي شوال سنة عشر من النبوة (في أواخر مايو أو أوائل يونيو سنة ٦١٩ م) خرج إلى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو إلى الله تعالى وأقام به أياماً، فلم يجيبوه وآذوه وأخرجوه ورجموه بالحجارة حتى أدموا قدميه، وكان أشد يوم في حياته ..

وفي ذي القعدة سنة عشر من النبوة (في آواخر يونيو أو أوائل يوليو سنة ٦١٩م) عاد رسول الله ﷺ ليستأنف الدعوة الإسلامية مرة أخرى في مكة .

سابعًا : دعوة القبائل ولقاء الأنصار:

أقام النبي ﷺ بمكة يدعو القبائل إلى الله تعالى، ويعرض نفسه عليهم في مواسم الحج، وأن يؤووه حتى يبّلغ رسالة ربه ولهم الجنة ليس غير، فلم تستجب له قبيلة واحدة، فلما رأى الأنصار رسول الله ﷺ ، وتأملوا أحواله، وقد سمعوا عنه من أهل الكتاب، قال بعضهم لبعض: "يا قوم ! تعلمون والله ! إنه للنبى الذى توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه! "١. وكان اليهود ينتظرون مبعثه ﷺ، ويحذرون قبائل يثرب من اقتراب موعد نبي ..

ثامنًا : الهجرة إلى المدينة المنورة :

وبايع رسول الله ﷺ وفد الأنصار، ووعدوه أن ينصروه ويمنعوه – في المدينة المنورة – حتى يبّلغ رسالة الإسلام، ومن ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة ..

يقول الباحث الإنكليزي جان باغوت غلوب :

"ولم تنقض سبعة أسابيع أو ثمانية حتى كان جميع المسلمين قد هاجروا من مكة باستثناء النبي[ﷺ]نفسه وابن عمه علي بن أبى طالب وولده بالتبني زيد بن حارثة ورفيقه الأمين أبو بكر الصديق ... وجدير بنا أن نعترف هنا بأن محمداً [ﷺ] أبدى جرأة منقطعة النظير ببقائه في مكة حيث لم يعد يحظى بحماية عمه أبو طالب كبير بني هاشم .وأدركت قريش خطورة ما وقع من تطور وهالهم أن المسلمين أخذوا يقيمون الآن في يثرب مجتمعاً متلاحم الوشائج خارجاً على نفوذهم وبعيداً عن متناول أيديهم، وأنهم شرعوا يكسبون

١ ابن سيد الناس ١/ ٢٠٥، وابن كثير : السيرة النبوية ٢/ ١٧٦، وابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٣٨

أنصاراً إلى جانبهم من أبناء القبائل الأخرى الذين قد يتحولون إلى معاداة قريش . واجتمع كبار القوم في دار الندوة يتشاورون في أمر محمد[ﷺ]ورأى بعضهم أن محمداً [ﷺ]هو سبب كل ما يواجهونه من متاعب، وأن من الخير لهم لو تخلصوا منه في أسرع وقت ممكن قبل أن يتمكن من اللحاق بأصحابه في يثرب[المدينة المنورة] "١ .

وبالفعل حاول صناديد قريش – كما يقول رالف لنتون " ممن كانوا يكرهون عائلة محمد[ﷺ]، ورأوا في تعاليمه ما يهدد مصالحهم، حاولت أن تغتاله؛ ولكنها لم تنجح في محاولتها. وهاجر محمد [ﷺ]والجماعة المخلصة القليلة من أتباعه إلى المدينة يوم ١٦ يوليه ٦٢٢م وهو تاريخ هام يجب أن لا ننساه لأنه عام الهجرة الذي يؤرخ به جميع المسلمين حتى الآن"٢ ..

وهناك في المدينة المنورة جمع الله علي محمدﷺ أهل يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج أخوةً متحابين بعد قتال مرير وعداوة وقعت بينهم بسبب قتيل، فلبثت بينهم الحروب والصراعات مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأها الله بمحمد ﷺ، وألف بينهم؛ حتى صاروا أمة واحدة، ودولة واحدة، ولكن المشركين ازداد حنقهم على الإسلام وأهله، لاسيما بعد هذا التقدم الهائل لدعوة الإسلام، وقيام دولة للمسلمين، فشن المشركون المكيون على رسول الله ﷺ سلسلة من الحروب المتتابعة، ومن ثم أذن الله للمسلمين بالقتال للدفاع عن دينهم وأنفسهم ودولتهم الناشئة.. التي يحاول الوثنيون القضاء عليها في مهدها. فشنوا على المسلمين حروباً، كمعركة بدر (١٧ رمضان ٢هـ/ ١٣مارس٦٢٤م)، ومعركة أُحد (شوال ٣هـ/ إبريل٦٢٤ م)، ومعركة الأحزاب (شوال ٥ هـ\ مارس٦٢٧م) ..

ولقد بلغ عدد الغزوات التي قادها النبي ﷺ ٢٨ غزوة، منها ٩ غزوات دار فيها القتال بين الطرفين، والباقي لم يحدث فيها قتال، واستمرت هذه الغزوات من العام الثاني للهجرة حيث غزوة ودَّان (الأبواء) (صفر ٢هـ – أغسطس ٦٢٣ م).وحتى العام التاسع حيث غزوة تبوك (رجب ٩ هـ/ أكتوبر٦٣٠م) .

يقول المؤرخ لويس سيديو٣ – معلقًا على هذه المعارك – :

---

١ جان باغوت غلوب ٨٠، ٨١ .

٢ رالف لنتون : شجرة الحضارة، ١/ ٣٤١.

٣ لويس سيديو (١٨٠٨ – ١٨٧٦): مستشرق فرنسي. ولد وتوفي بباريس. كان أبوه (جان جاك إمانويل سيديو، المتوفي سنة ١٨٣٢) فلكياً من المستشرقين أيضاً. وتخرّج بكلية هنري الرابع، وعين مدرساً للتاريخ في كلية

" فدفع الله شرهم ، وهو أولى أن يحفظ نبيه [ﷺ]القائم بالدعوة له ، وأحق أن يجعل كيدهم في نحورهم وما زال آخذاً بيمينه، حتى غنى له الزمن ، وصفق له الدهر"١ .

وعقب هجرة النبي ﷺ أسلم عدد من خيار علماء اليهود في المدينة، صدَّقوا بمحمدٍ ﷺ واتبعوه بعد أن عرفوه بنعته الوارد في كتبهم، منهم الحبر اليهودي العلامة: عبد الله بن سلام – رضوان الله تعالى عليه – .

تاسعًا: الفتح وانتشار الدعوة:

واستطاع النبي ﷺ بعد حوالي ١٩ سنة – كلها معاناة وإيذاء من المشركين – أن ينتزع من قريش صلحاً سمِّي صلح الحديبية في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة (في مارس٦٢٨ م) ، ليتفرغ للدعوة ونشر الرسالة، فبعث رسلاً سفراء من أصحابه، وكتب معهم كتباً إلى الزعماء والملوك، يدعوهم فيها إلى الإسلام، في رسائل وخطابات رفيعة المستوى، سامقة الذوق ..

ونجح النبي ﷺ في دعوته على نطاق واسع ، وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية كالنار في الهشيم، وزالت الجاهلية بتقاليدها المتخلفة، وعقائدها الفاسدة ..

وفتح رسول الله خيبر معقل الدس والمؤمرات في المحرم سنة ٧ هـ (مايو ٦٢٨).

ثم فتح مكة في رمضان ٨هـ(يناير ٦٣٠ م) اثر نقض قريش للعهد، وأصدر عفواً عاماً عنهم .. وأعلن الرسول ﷺ الأمان العام لكل الناس، فلا طوارىء ولا تعسف ، فقال ﷺ: "من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ! ومن أغلق بابه عليه فهو آمن! ومن دخل المسجد فهو آمن !"٢. وعهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم بدخول مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم٣..

" فما إن أُقر السلام؛ حتى انتشر الإسلام في كل ناحية، بخطى واسعة، لا..! لقد بدا

«بوربون» سنة ١٨٢٣ . وهو صاحب كتاب «Histire des Arabes » ألّفه بالفرنسية، وأشرف علي مبارك باشا علىَ ترجمته إلىَ العربية، وسماه «خلاصة تاريخ العرب العام » ومن آثار «سيديو» أيضًا: « جامع المبادىء والغايات في الآلات الفلكية» .

١ لويس سيديو : خلاصة تاريخ العرب ص ٥٤

٢ ابن سيد الناس ٢ / ١٨٨

٣ ابن سيد الناس ٢ / ١٩٤

وكأن قوة غير منظورة كانت تعمل على إدخال الناس في دين الله أفواجاً بعد أفواج "١..

وحُطمت الأصنام، وسقطت رموز الوثنية، وتوحدت الشعوب والقبائل المتناحرة، وخرج العربي من عبادة العباد إلى عبادة الخالق رب العباد، وألغيت الطبقيات والعصبيات والنعرات الجاهلية ، وانتشر العدل والسلم والأمن ...

وأصبحت دولة الإسلام مهيبة قوية أمام قوى الفرس والرومان ..

ولما اعتدى عامل الرومان شرحبيل بن عمرو الغساني وقَتل سفير النبي ﷺ الصحابي السفير/ الحارث بن عمير الأزدي، عندما أرسله النبيﷺ برسالة دعوية إلى عظيم بصرى في الشام، إذا بالنبيﷺ يعلن التعبئة العامة، ويغزو حدود الرومان الجنوبية، في سرية مؤتة(جمادى الأولى ٨هـ/ سبتمبر ٦٢٩ م)، وغزوة تبوك (رجب ٩ هـ / أكتوبر ٦٣٠) التي ملئت قلب النظام الروماني بالفزع والهلع، من هذا القطب الدولي الثالث الناشىء المتمثل في دولة الإسلام..

عاشراً: حجة الوداع، ووفاة النبي

بعد أن نجح النبي ﷺ في دعوته، وقويت دولة الإسلام، واستتب الأمن في الجزيرة العربية، ودخل الناس في الإسلام أفواجاً، وشاء اللهّ أن يري رسوله ﷺ ثمار دعوته، التي عانى في سبيلها ثلاثة وعشرين عاماً، حافلة بالجهد والعمل والبلاء ، وأحس رسول الله ﷺ بدنو أجله، ولذلك قصد نبي الله ﷺ الحج، ليجتمع بالأمة ، فيأخذوا منه أصول الإسلام وكلياته، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدى الأمانة، وبلغ الرسالة .

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) في العام العاشر من الهجرة (٦مارس٦٣٢ م) وقد اجتمع حوله مئة ألف وأربعة وأربعون ألفاً من الناس، فقام فيهم خطيباً، وألقى خطبة بلغية جامعة تضمنت أول إعلانٍ عام لحقوق الإنسان عرفته البشرية، أعلن فيها الإخاء والمساواة والعدالة وحرمة الدماء والأموال وحقوق المرأة، ووضع تقاليد الجاهلية الفاسدة، فألغى دماء الجاهلية، والمعاملات الربوية والنعرات الجاهلية.

وأهدى للبشرية أعظم وأحكم وأجمل شريعة في التاريخ، تلك الشريعة التي تحدث

---

١ مولانا محمد علي : حياة محمد وسيرته : ص٢٢١

عنها العلامة"شبرل"١ – مبديًا فخره واعتزازه بالنبي محمدﷺ – قائلاً:

" إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد[ﷺ]إليها ، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً؛ أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون ؛ لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة "٢ .

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، وسرعان ما أحس بالمرض ودنو الأجل.

وتُوفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ١١هـ(٦يونيو٦٣٢)وخلفه في حكم الدولة وزيره وصديقه الجليل أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم جميعاً –.هذه لمحة سريعة جداً من سيرة النبي ﷺ، وهي غيض من فيض، كان لا بدَّ منها بين يدي الدراسة، ولتكون تمهيداً للحديث عن الغزوات وما يستفاد منها .

المبحث الثاني
أخلاقيات النبيﷺ في أدبيات الغرب

المطلب الأول :شهادة إنجيل برنابا٣ :

شهدت أدبيات الغرب وأشادت بأخلاق محمد ﷺ ، ويأتي على رأس هذه الأدبيات إنجيل برنابا الذي بشر برحمة محمد ﷺ التي ينالها العالم عند قدومه من أرض الجنوب

---

١ عميد كلية الحقوق بجامعة "فيينا"،وقال هذه الجملة في مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧

٢ انظر : عبد الله ناصح علوان ١٥٥

٣ يقول المستشرق سايل : إن مكتشف النسخة الإيطالية لإنجيل برنابا هو راهب لاتيني يسمى " مرينو"...واتفق أنه أصبح حينا من الدهر مقربا من البابا "سكتس الخامس "، فحدث يوما أنهما دخلا معا مكتبة البابا العتقية، فأخذ النوم هذا البابا ، فأحب الراهب مرينو أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا ، فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو إنجيل القديس برنابا ، فخبأ هذا الإنجيل في ثوبه ، ولبث إلى أن إستفاق البابا فاستأذنه بالإنصراف حاملاً ذاك الكنز معه
، فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على إثر ذلك الإسلام . اهـ .
وبعد اكتشاف هذا الإنجيل، شاع خبره في بداية القرن الثامن عشر فأحدث دوياً كبيراً، عند النصارى بشتى طوائفهم، وأجمعوا على محاربته وتكذيبه ، بل إن هذا العداء توارثته أجيال النصارى جيلاً بعد جيل ، بل قام أساقفة النصارى بتصنيف الردود على هذا الإنجيل الذي يبشر بشكل صريح جداً بمحمد ﷺ ..

(الحجاز).

فيقول إنجيل برنابا: "سيأتي مسيا [أي محمد ﷺ] المرسل من الله لكل العالم.. وحينئذ يسجد لله في كل العالم، وتنال الرحمة.."١ .

يقول القس إبراهيم فيلوبوس٢ :

" كلمة إنجيل كلمة يونانية تعني بشارة أو بشرى، ولعل هذا هو الذي نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، أنه كان بشرى من الله للرحمة، وبشرى بتبشيره عن المسيا الذي سيأتي للعالمين هدى ورحمة، ألا وهو محمد ﷺ"٣.

وجاء في الفصل السادس والتسعين – في إنجيل برنابا – من محاورة بين المسيح ورئيس كهنة اليهود، أن الكاهن سأله عن نفسه فأجاب بذكر اسمه واسم أمه، وبأنه بشر ميت ثم قال الإنجيل ما نصه:

" أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مسيّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله ، وسيأتي للعالم برحمة الله. لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق هل أنت مسيا الله الذي ننتظره؟ . وأجاب يسوع: حقاً أن الله وعد هكذا ولكني لست هو، لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي. أجاب الكاهن : إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله . لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل كلها أن تفيدنا حباً في الله بأية كيفية سيأتي مسيا؟ فأجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي. أني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم . قائلاً : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض . ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى لهذه الفتنة المعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله . فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً . حينئذٍ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي

---

١ إنجيل برنابا ، ٨٢ : ١٦ – ١٨

٢ أسلم وأطلق على نفسه اسم " إبراهيم خليل أحمد "، وهو حاصل على ماجستير في اللاهوت من جامعة برنستون الأمريكية .ومن كتبه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) و(المسيح إنسان لا إله) و(الإسلام في الكتب السماوية) و(اعرف عدوك اسرائيل) و(الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) و(المبشرون والمستشرقون في العالم العربي الإسلامي).وقد كان راعياً للكنيسة الإنجيلية ، وأستاذاً للاهوت ، وأسلم على يديه عدد كبير من الناس .

٣ إبراهيم خليل أحمد (القس إبراهيم فيلوبوس سابقاً) ، ص ١١٥

خلق كل الأشياء لأجله . الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام . وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به . وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً ." ١.

هكذا يتحدث إنجيل برنابا عن محمد ﷺ وأنه "سيأتي للعالم برحمة الله"، بل لن يأتي محمد– حسب إنجيل برنابا – إلا حين " يرحم الله العالم"، فيبعثه الله من الجنوب حيث أرض الحجاز ويهدم الأصنام في فتح مكة في العام الثامن الهجري، وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به، فيمكنَّ لهم الله في الأرض، ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم .

المطلب الثاني: شهادة الراهب النصراني بحيرا :

إن أول جملة قالها الراهب النصراني الشهير "بحيرا "حين رأى محمداً ﷺ في رحلته الأولى إلى الشام مع أبي طالب – :

" هذا سيد العالمين ! هذا رسول رب العالمين ! هذا يبعثه الله رحمة للعالمين !"٢ .

وإن في ذلك لدلالة بينة على ما كان يتدارسه الرهبان والقساوسة في الأناجيل، حيث صفات الرحمة وشمائل العفو التي سجلتها الكتب السماوية السابقة في محمدﷺ.

المطلب الثالث: شهادة العلامة توماس كارلايل

في كلمات تنم عن عميق الحب وعلو التقدير، يتحدث توماس كارلايل (١٧٩٥ – ١٨٨١م) الكاتب الإنجليزي المعروف، في إعجاب بصفات النبي ﷺ فيقول:

".. لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير [ﷺ] ... العظيم النفس، المملوء رحمة، وخيرًا، وحنانًا، وبرًا، وحكمة، وحجى، ونهى.. أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين ؟ فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة. إذ ترى محمدًا [ﷺ] لم يرض أن يلتفع بالأكاذيب

---

١ إنجيل برنابا ، ٩٦ : ٣-١٦

٢ الحاكم (٤٢٢٩) ، ابن أبي شيبة (٣١٧٣٣)، وابن عساكر:تاريخ دمشق ٣\٤، والطبري :تاريخ الأمم والملوك ١\ ٥٢٠، وسيرة ابن حبان ٥٨ ، الصالحي ٢\١٤٠.

والأباطيل. لقد كان منفردًا بنفسه العظيمة .."١ .

المطلب الرابع : شهادة المفكر البريطاني لين بول:

لا يُخفي "لين بول" (١٦٥٢ _١٧ ١٩) تـأثره بمحمـدﷺ، فيتحـدث في مؤلفـه : "رسالة في تاريخ العرب " عن سجايا خلق محمدﷺ في إعجاب جم قائلاً :

"إن محمداً [ﷺ] كـان يتـصف بكثـير مـن الـصفات كـاللطف والـشجاعة ، وكـرم الأخلاق ، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تطبعه هذه الصفات في نفسه ، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن غير ميل أو هوى، كيف لا، وقد احتمـل محمد [ﷺ] عداء أهله وعشرته سنوات بصبر وجلد عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد مصافحه حتى لو كان يصافح طفـلاً ! وأنـه لم يمـر بجماعـة يوماً من الأيام رجالاً كانوا أم أطفالاً دون أن يسلم عليهم ، وعلى شفتيه ابتـسامة حلـوة ، وبنغمة جميلة كانـت تكفـي وحـدها لتـسحر سـامعيها ، و تجـذب القلـوب إلى صـاحبها جذباً!!"٢.

المطلب الخامس : شهادة السير وليم موير:

وأما الباحث وليم موير فيتحدث في مؤلفه : " حياه محمد " عن أخلاقيات النبي ﷺ في تقدير بالغ لرقة النبي ﷺ ورفقه ورأفته،ولين عريكته ، فيقول :

"ومن صـفات محمـد[ﷺ] الجليلـة الجـديرة بالـذكر ، والحَريـة بالتنويـه : الرقـة و الاحترام ، اللذان كان يعامل بهـما أصـحابه ، حتـى أقلهـم شـأناً ، فالـسماحة والتواضـع والرأفة والرقة تغلغلت في نفسه ، ورسخت محبته عند كل من حوله ، وكان يكره أن يقول لا ، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب على سؤاله ، فضل السكوت على الجواب ، ولقـد كـان أشد حياء من العذراء في خدرها ، وقالت عائشة[رض الله عنهـا]، :وكـان إذا سـاءه شيء تبينا ذلك في أسارير وجهه ، ولم يمس أحداً بسوء الا في سبيل الله ، ويُؤثر عنه أنـه كـان لا يمتنع عن إجابة الدعوة من أحد مهما كان حقيراً ، ولا يرفض هدية مهداة إليه مهما كانـت صغيره، وإذا جلس مع أحد أياً كان لم يرفع نحوه ركبته تشامخاً وكبراً"٣.

---

١ توماس كارلايل : الأبطال، ٥١، ٥٢

٢ لين بول : رسالة في تاريخ العرب نقلا عن : عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الاسلامي ، ص ٤٣٨.

٣ وليم موير :حياة محمد ١٤

المطلب السادس : شهادة القس السابق دُرّاني

يقول العلامة الإنجليزي دُرّاني١ ،في النبي ﷺ :

"أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد [ﷺ] لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام.. فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره[ﷺ]!"٢ ..

المطلب السابع : شهادة الكاتب الإسباني "جان ليك":

يقول الدكتور جان ليك في كتابه (العرب) :

"وحياة محمد[ﷺ] التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله .. بألفاظ قليلة ، بين بها سبب بعث النبي محمد[ﷺ]﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقد برهن بنفسه على أن لديه أعظم الرحمات لكل ضعيف ، ولكل محتاج إلى المساعدة ، كان محمد[ﷺ]رحمة حقيقة لليتامى، والفقراء، وابن السبيل، والمنكوبين، والضعفاء، والعمال، وأصحاب الكد والعناء ، وإني بلهفة وشوق.. أصلى عليه وعلى أتباعه ! "٣.

المطلب الثامن : شهادة الباحث الفرنسي جوستاف لوبون :

يتحدث جوستاف لوبون٤ في كتابه (الدين والحياة)، عن سمو أخلاق النبي ﷺ ، فيقول:

"لقد كان محمد [ﷺ]ذا أخلاق عالية، وحكمة، ورقة قلب، ورأفة، ورحمة، وصدق وأمانة"٥.

وهذه الأخلاق هي التي جذبت آراء المنصفين لنبي الإسلام ﷺ، وعدَّتُه من أعاظم

---

١ الدكتور م. ج. دُرّاني : سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث عاد إلى الإسلام .

٢ انظر: عرفات كامل العشي : رجال ونساء أسلموا ، ٤ / ٢٧ – ٢٨ .

٣ جان ليك" العرب، ص ٤٣

٤ جوستاف لوبون : ولد عام ١٨٤١ وهو مؤرخ فرنسي مشهور، عني بالحضارات الشرقية.من آثاره: (حضارة العرب) (باريس ١٨٨٤)، (الحضارة المصرية)، و(حضارة العرب في الأندلس).

٥ جوستاف لوبون: الدين والحياة ٦٧.

رجالات التاريخ ..

فيقول جوستاف لوبون في موضع آخر :

"إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم؛ كان محمد [ﷺ] من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا [ﷺ] ، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله !"١.

المطلب التاسع: شهادة المؤرخ الشهير جيمس متشنر :

ويتحدث جيمس متشنر عن بعض صور الرحمة في شخص النبي ﷺ، مشيراً إلى بساطة النبي ﷺ ، وإنسانيته، ونبله، وحزمه، فيقول متشنر :

"إن محمداً [ﷺ] هذا الرجل الملهم ،

الذي أقام الإسلام ،

ولد في قبيلة عربية تعبد الأصنام،

ولد يتيماً محباً للفقراء والمحتاجين والأرامل واليتامى والأرقاء والمستضعفين.

وقد أحدث محمد[ﷺ] بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في شبه الجزيرة العربية وفى الشرق كله .

فقد حطم الأصنام بيديه ،

وأقام ديناً يدعو إلى الله وحده ،

ورفع عن المرأة قيد العبودية التي فرضتها تقاليد الصحراء ،

ونادى بالعدالة الاجتماعية وقد عرض عليه في آخر أيامه أن يكون حاكماً بأمره، أو قديساً ،

ولكنه أصر على أنه ليس إلا عبداً من عباد الله أرسله إلى العالم منذراً وبشيراً"٢!

* * *

١ جوستاف لوبون: حضارة العرب ، ص ١١٥ .

٢ انظر: حسين الشيخ خضر الظالمي : قالوا في الإسلام، ٥٠.

obeikandl.com